

الهوية الوطنية في اهتمامات رجال الإصلاح في الجزائر

د- تريعة موسى

جامعة غرداية

ملخص :

نتطرق في هذه الورقة البحثية إلى موضوع الهوية الوطنية في الصحافة الإصلاحية الجزائرية، إذ اهتمت أقلام رجال الإصلاح خاصة في مرحلة الثلاثينيات من القرن الماضي بهذا الموضوع أيما اهتمام ، رغبة منهم - رجال الإصلاح - في الرد على مخططات الإدارة الفرنسية الرامية إلى طمس الهوية الوطنية بشتى الوسائل المادية والمعنوية.

الكلمات المفتاحية:

الهوية، التاريخ، النخبة الإصلاحية، رجال الإصلاح، اللغة العربية، التاريخ الوطني

Abstract

In this paper, we address the issue of national identity in the Algerian reformist press. In the 1930s, the elites of reform, particularly in the 1930s, took great interest in this matter. They wanted the men of reform to respond to the French administration's plans to obliterate national identity by various means. Material and moral.

تمهيد:

اتجه الاحتلال الفرنسي منذ وطأت إقدامه الجزائر ، إلى تذيب معالم الهوية الوطنية وضرب مقومات الشخصية العربية الإسلامية للجزائر، رغبة منه في فرنسة المحيط والقضاء على معالم الدين الإسلامي وتطبيق سياسة الإدماج¹، وتعرف الهوية في معناها العام تلك القيم والمثل والمبادئ التي تشكل الأساس الراسخ لمجموعة من الأفراد ، فقد تكون فردية من خلال سعي الفرد الى تحديد عناصر هذه الهوية ، سواء من خلال لغته وعقيدته وجنسه وأرضه و تاريخه، ويعرف البعض الهوية مجموعة الخصائص والمميزات التي ينفرد بها الفرد أو شعب أو أمة والتي تتوارث من ماض ذي تاريخ وتراث بما فيه من لغة ودين، وما للأمة من انتصارات وانتكاسات وطموحات وانتماءات وخصائص²، أما الجماعية فهي إدراك للقيم ذات سمات في الأساس من خلال مجموعة صفات، فالهوية الوطنية تعني الانتماء على الأرض المستغلة والحفاظ على مقوماتها الأصلية .

الدين الإسلامي:

يمثل الدين الإسلامي أحد أهم المقومات التي دافعت عنها النخبة الإصلاحية الجزائرية، وجعلتها في المقام الرئيسي إذ يمثل الجانب الأساسي بالنسبة للأمة الإسلامية من أجل صيانة نفسها من الأخطار التي تترصد بالأمة، ذلك أن المتربصين يسعون للإجهاد والسيطرة وتشويه الدين، وإذا تحقق ذلك فقد حققوا ما يرغبون في الوصول إليه، كما يقول الشيخ مبارك الميلي³، كذلك أن القرآن الكريم يقص علينا بجلاء أن أول ما يدعو إليه الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - هو توحيد الله، وأول ما ينكرونه علي قومهم الشرك ومظاهره⁴.

فالإسلام كما قال ابن باديس دين الانسانية التي لا نجا لها ولا سعادة إلا به، لأن خدمتها لا تكون إلا على أصوله، والتدهور الذي يعاني منه العالم الاسلامي انما يعود الى الابتعاد عن الكتاب والسنة ولهذا كانت نظرتة الإصلاحية ترمي الى تكوين جيل من المصلحين يكونون رجالا قرآنيين يوجهون التاريخ ويغيرون الامة⁵، وعليه فإن النخبة الإصلاحية رأت ضرورة العمل على نشر الاسلام، لأنه مفتاح النجاح في الحياة، ذلك أنه يدعو إلى الأخوة والوحدة والتضامن، ورفض كل أشكال العنف والاستبداد، ونبذ الانقسامات...⁶، واعتبر ابن باديس أن سر تماسك الأمة إنما يعود بالأساس إلى رؤية الإسلام، ويذكر شارل اندري جوليان، بأن "العلماء يعملون لتطهير الإسلام وتكوين كيان جزائر قائم على الثقافة العربية الاسلامية"⁶.

ومما يدل على أن الدين الإسلامي يمثل دين الفطرة، وأنه الدين الحق ويمثل الدين الأسمى لما فيه من الحكمة والحقائق، وكذا ما فيه من منافع للإنسان في دنياه وآخرته، فهو دين يسر لا عسر، وهو دين العدل والإحسان، ودين الأخلاق والمثل السامية، فالقرآن الكريم وصف الدين الاسلامي بهذه الصفات، ومنه قوله تعالى: "أقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون"⁷، وقوله تعالى: "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين"⁸، وقوله تعالى أيضا: "إن الدين عند الله الإسلام"⁹، وقوله تعالى أيضا: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً"¹⁰.

ويذكر أيضا الإبراهيمي بأن القرآن يمثل صلاح الأمة بأكملها، ومصدر سعادة الإنسان المسلم، بما يدعو إليه من سعادة وتعاون، وفي ذلك يقول: "... القرآن إصلاح شامل لنقائص البشرية الموروثة، بل اجتثاث لتلك النقائص من أصولها، وبناء للحياة السعيدة، التي لا يظلم فيها البشر، ولا يهضم له حق على أساس من الحب والعمل والإحسان، والقرآن دستور سماوي الذي لانقص فيه"¹¹.

فقد سارت النخبة الإصلاحية على منهج السلف الصالح في الدعوة إلى التوحيد، وغرس العقيدة الصحيحة في نفوس الأفراد، ومواجهة الشرك والبدع والخرافات، التي كانت تهدد عقيدة المسلم الصالح، فكان لزاما على النخبة الإصلاحية من البحث عن السبل لمواجهة أصوات الداعين لهدم العقيدة، ويشير الإبراهيمي هنا إلى أن النخبة الإصلاحية كانت بين رأيين، الأول توجيه الجهود إلى

التعليم المثمر، وهنا إشارة إلى التعليم المسجدي، ومنه تكوين طائفة من المتعلمين مطبوعة بالطابع الإصلاحية علما وعملا، أما الرأي الثاني فهو توجيه العمل نحو العامة عن طريق إسماعها صوت الحق، لأن البدع والمنكرات قد تغلغت في الأمة، وطال عليها الأمد¹²، وهنا لابد من الإرشاد والوعظ وإعطاء أهمية للمدارس والمساجد.

فقد كانت كتابات ونداءات ومحاضرات النخبة الإصلاحية تدعو إلى التوحيد والإيمان، وحسن الأخلاق ومواجهة البدع والخرافات وكل من يقف في وجه الاجتهاد.

كما هاجم الزاهري¹³ دعاة الإلحاد الذين كانوا يعملون على تشكيك المسلم في دينه، وإغرائه بمختلف الوسائل من أجل حياة دنيوية ذات بعد غربي محض، فتصدى لهم الزاهري عن طريق كشف مخططاتهم ومواجهتهم بشتى الوسائل الممكنة، خاصة في ظل الانتشار الواسع للملحدين في الجزائر، وسعيهم إلى ملاحقة الشباب وزرع الأفكار الهدامة في أوساطهم، ومن أجل التصدي لهؤلاء الملحدين الذين يسعون إلى محاربة الإسلام والمسلمين، دعا الزاهري إلى تأسيس معهد إسلامي، يعمل على نشر الإسلام على نطاق واسع، ودعا المستشرقين إلى دراسة الإسلام والتعرف على تعاليمه وأفكاره السمحة¹⁴.

أما الشيخ مبارك الميلي فيدعو إلى جعل القرآن البوابة الأساسية لمحاربة الجهل، والمنارة الكبرى للعلم، ذلك أن حماية الدين لا تكون إلا بالعلم، وإن أصل علم الدين الكتاب¹⁵، فنظرت هذه يرى من خلالها أن المسلم ولد بفطرته على ضرورة اكتساب واتباع السلف الصالح ونهجهم القائم على إتباع الكتاب والسنة النبوية فيقول في هذا المقام: "...أما الفقه الأكبر بالتفقه في الكتاب والسنة، وتصحيح العقائد والأعمال عليها، وأخذ المواعظ منهما، فقد انقطع منذ زمان في وطننا حتى أحياء من ارتحلوا من طلبة¹⁶...."، وهو بهذا يؤكد على أن الدين الإسلامي يمثل إحدى أهم المقومات الأساسية للشخصية الوطنية، باعتباره صالح لكل زمان ومكان، وهو سعادة الإنسان في حياته الدنيوية وآخريته، فبالعلم والعمل بكتاب الله وسنته والسير على نهج السلف الصالح تكمن سعادة الفرد والمجتمع.

ويعد الشيخ الطيب العقبي أحد أهم نماذج النخبة الإصلاحية في الجزائر، نظرا لاهتمامه بالإصلاح الديني خاصة ما يتعلق بمحاربة البدع والخرافات والدعوة إلى العمل الصالح والنهي عن المنكر، إلى جانب محاربة الشرك والحفاظ على ما جاء في الكتاب والسنة، ولعل أهم ما يميز العقبي في هذا الجانب تأسيسه لمنظمة "شباب الموحدين" مطلع الخمسينيات هذه المنظمة كانت تحمل أفكار السلفية المشرقية، ونخص بالذكر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب¹⁷ وأصدر هؤلاء الشباب جرائد تعبر عن أفكارهم مثل الداعي والقبس، والمنار¹⁸ واللواء¹⁹، ويبرز كذلك اهتمام العقبي بهذا الجانب الحيوي، في العدد الأول من جريدته الإصلاح²⁰ إذ كتب شعار "لا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"، وأن هذه الأمة لا يمكنها تجاوز محنها وأخطارها إلا بالتمسك بدينها ونهج السلف الصالح، ذلك أن: "فما وجد عقلاء المفكرين وحكماء المرشدين مثل قرع باب الإصلاح والرجوع

بالأمة إلى ما كان عليه سلفها، ورد كل خلاف أو نزاع بين طوائفها ومذاهبها إلى أصل الدين الذي هو الكتاب والسنة وعمل السلف²¹.

ومن هنا كانت رؤية العقبي تقوم على أساس ضرورة الحفاظ على الدين والتمسك به، لأنه يمثل أساس الإصلاح والنهضة، لأن الانحطاط الذي نعاني منه إنما يعود إلى عدم تمسكنا بديننا، بل سبب انحطاطنا ما أحدثه المحدثون في الدين، وما أعطوه من عند أنفسهم باسم الدين، وما شرعوه لنا في الإسلام مما لم يؤذن به الله ودعوا الناس إلى اعتقاده والعمل بمقتضاه²².

ويشير المجاوي²³ إلى فكرة ضرورة تصدي العلماء لانتشار البدع والخرافات في وسط الأفراد والمجتمعات، وأنهم مقصرون في هذا الجانب، لذلك وجب حسب رأيه تكثيف الجهود من وعظ وإرشاد وإلقاء محاضرات وخطب في المساجد والساحات، وفي المناسبات كالأعياد، من أجل إظهار أخطار هذه الآفات على المجتمع، كما دعا إلى الاهتمام بجانب المعاملات بين الأفراد، ومحاربة الظلم، كما انتقد بعض العادات السيئة مثل لعب الضامة، وكانت أفكاره هذه مرتبطة أساساً بأن أصلح، والإصلاح إنما يعود إلى ضرورة إتباع نصوص الشريعة الإسلامية، وأن ترقية المجتمع مرتبطة بالأساس بترقية عاداته²⁴.

فالدين يمثل عنصراً أساسياً لإخراج الأمة من عجزها وكسلها، فالإسلام يدعو إلى المحافظة على كتابه ولسانه العربي، كما يدعو إلى المحافظة على القيم الإسلامية والتمسك بمقومات الشعب وقيمته، في زمن كثر فيه الجحود لمزايا الماضي وطثر الزيغ عن تعاليم الإسلام²⁵.

ولهذا دعا رجال الإصلاح إلى ضرورة التصدي لدعاة سياسة التجنس لأنه محاولة لإضعاف الإسلام بإختطاف الضعاف من بنيته في رأي ابن باديس²⁶.

ومن هنا يمكن القول بأن النخبة الإصلاحية بنت أفكارها على أساس الحفاظ على المقومات الأساسية للفرد وخاصة الدين الإسلامي، لأنه يمثل الجوهر والأساس في عملية الإصلاح، فأى مشروع إصلاحى لابد أن يبنى على أساس الدين، ذلك أن العملية الإصلاحية كي تبلغ مداها ومراميها وتفهم الواقع، لابد من فهم المسلمين لعقيدتهم، إذن فرؤية النخبة الإصلاحية مبنية على أساس أن النهوض بالمجتمع ما ارتبط به من شوائب وعوائق إنما يرتبط بمدى فهمهم لعقيدتهم باعتبارها المنهج الجامع والموحد.

2- اللغة العربية:

تعد اللغة العربية من المقومات الأساسية للوطنية الأصيلة، ذلك أن الاستعمار سخر كل قواه وإمكاناته من أجل القضاء عليها، وجعل لغته اللغة البديلة، فاللغة العربية تمثل الهوية بالنسبة للفرد،

فحين سأل أبو جعفر المنصور مولى لهشام بن عبد الملك سنة 132هـ، عن هويته قال المولى: "إن كانت العربية لسانا فقد نطقنا بها، وإن كانت دينا فقد دخلنا فيه"²⁷.

فقد سعت فرنسا إلى خلق طبقة أو فئة مسائرة لأفكارها، لكي تكون سندا لها في مخططاتها فتسعى إلى نشر ثقافتها وأفكارها ولغتها، وهذا الغزو الثقافي يمكنها من دحر اللغة العربية من جهة، وتجهيل الأفراد والمجتمع من جهة أخرى، فالسياسة التعليمية التي اعتمدتها الإدارة الاستعمارية تعمل على إتباع المناهج التعليمية وفق ما يخدم مصالح فرنسا، عن طريق إتباع نفس المناهج المطبقة في فرنسا، إضافة إلى فتح مدارس ومعاهد لفئات معينة من أجل صناعة نخب مغربة مفرنسة، محاولة منها إيجاد فئة أغلبية متجنسة، مطابقة لأفكارها الهدامة للمجتمع، ومنه تخلق مجتمعا منقسما وممزقا داخل كيان واحد، وهو من أهم مخططاتها التي تسعى إليها، ولهذا أكد جاك بيرك، على أن اللغة العربية تمثل القوة الضاربة للمجتمع الجزائري، فإذا تمكنا من القضاء عليها استطعنا فرض سلطتنا على المجتمع، إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات فهي حالت دون ذوبان العرب في فرنسا"²⁸.

وباعتبار اللغة العربية جزءا لا يتجزأ من شخصية الجزائر وارتباطها بالقومية العربية، وكما قال الشيخ البشير الإبراهيمي فإن اللغة العربية ليست غريبة ولا دخيلة، إذ أنها في دارها وبين أهلها، لها جذورها في الماضي، موجودة في الحاضر، ولها أفق في المستقبل"²⁹.

وما الشعار الذي رفعته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلا دليل على أهمية اللغة من حيث الحفاظ على تراث الأمة وشخصيتها الفريدة "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا"، إذ أن وحدة الشعب لا يمكنها أن تصل إلى مداها إلا عن طريق وحدة الدين واللغة، ومن أجل هذا دافعت النخبة الإصلاحية في الجزائر عن اللغة العربية وفي مقدمتهم ابن باديس الذي اعتبرها ضرورة ملحة لحياة المسلمين، لذا وجب الاهتمام بها والرفع من شأنها، واعتبرها "... لغة الدين، لغة الجنس، لغة القومية، لغة الوطنية المغروسة، إنها وحدة الرابطة بيننا وبين الماضي، وهي وحدة المقياس الذي نقيس به أرواحنا بأرواح أسلافنا، وبها يقيس ما يأتي بعدنا من أبنائنا وأحفادنا الميامين أرواحهم بأرواحنا، وهي وحدة اللسان الذي نعتر به وهي الترجمان عما في القلب من عقائد"³⁰....

فاللغة العربية تمثل وحدة الأمة باعتبار أن لسان المسلمين واحد ودينهم واحد، فالشيخ الإبراهيمي هنا يؤكد على عامل اللغة ودوره في وحدة الأمة العربية الإسلامية: "... ما دامت اللغة العربية لسانا وبياننا وترجمانا فالعرب كلهم أمة واحدة، كل ذلك كما أراد القدر المقدور..."³¹.

فهي من المكتسبات الأصلية لذلك وجبت صيانتها وحمايتها وترقيتها، لكي لا تتلاشى ويتم اقتضاؤها، في ظل السياسة الاستعمارية الموجهة إليها من حيث فرنسة المحيط وتجهيل الشعب الجزائري.

فاللغة العربية من منظور النخبة الإصلاحية تمثل السلاح المتين إلى جانب الدين للحفاظ على الفرد والمجتمع، من التلاشي والصراعات والتخلف، فاللغة تمثل وعاء الفكر والوجدان وحافظة الدين والتراث، وهمزة الوصل بين الأجيال، فهي المقوم الأساسي من مقومات الاجتماع البشري³².

فعمل النخبة الإصلاحية المتمثل في الإصلاح والوعظ والإرشاد ودعم الأفراد والجماعات لا يمكنه أن يصل إلى مداه إلا إذا نجحت النخبة في خطابها وقراءتها للواقع، ولذلك وجب على النخبة الحفاظ على التراث العربي الإسلامي للجزائر، والسعي قدما على بعثه ونشره بين الأفراد والجماعات، لأن اللغة العربية كانت الوسيلة الأهم والأبرز لإيصال الأفكار واعتبارها اللغة الأساسية في عملية الخطاب الإصلاحية، وبواسطة اللغة تتم مواجهة عملية الفرنسة والتفسخ والتجهيل.

وقد كانت للزاهري مواقف معادية لمن يسعى إلى فرض اللغة الفرنسية، أو ما يسمى بدعاة التغريب، فحذر الشيخ الزاهري من هذه الفئة ودعا إلى محاربتها والوقوف ضد مساعيها الرامية إلى تهيمش لغة الدين والمجتمع، فطرح هذا التساؤل فقال: "هل يستطيع أحد أن يخرج عن الطبيعة فيرضى بأبيه بديلا، أو قل فيرضى أن يكون ابنا لا أب له، فالذين يدعوننا إلى ترك حضارة آبائنا إنما يدعوننا إلى أن نعلن على الملأ أننا ما لنا من آباء"³³.

وعندما زارت اللجنة البرلمانية الفرنسية الجزائر سنة 1936، طالب أبو اليقظان بضرورة ترسيم اللغة العربية ومساواتها مع اللغة الفرنسية، وكذا حرية الصحافة العربية³⁴، خاصة وانها لغة القرآن والرفع من شأن لغتنا لأنها منبع حياتنا وأساس سعادتنا³⁵.

ولقد اعتبر أبو اليقظان اللغة العربية المصدر الأساسي، باعتبارها لغة الدين ولغة القرآن، وأنه الصلة التي تربط الفرد والعبد بربه، ومن أجل هذا كانت له مساهمة فعالة في إنشاء المطبعة العربية، رغبة منه في إحياء ونشر اللغة العربية على أوسع نطاق رغم مضايقات الإدارة الفرنسية. وقد فند الإبراهيمي الأطروحات والأفكار الاستعمارية الرامية إلى استهداف اللغة العربية، والتشكيك في أصالتها، وأن البربر دخلوا في الإسلام طوعا وقبلوا العربية عفوا نظرا لنظرة الإسلام السامية الرامية إلى نشر العدل والإحسان وهو ما ساهم في انصهار الفكر واللسان الأمازيغي في بوتقة الحضارة العربية الإسلامية³⁶.

كما ننوه بدور المدارس كمدرسة دار الحديث³⁷ والجامع الأخضر³⁸ في ترقية اللغة العربية، وهو ما يبين مدى حرص النخبة الإصلاحية على نشر اللغة الفصحى، وإذكاء الروح القومية العربية في نفوس الأفراد، والوقوف ضد السياسة الفرنسية الرامية إلى تشويه اللغة الأم والقضاء على الهوية الوطنية فالتجربة الإصلاحية التي سعت النخبة الإصلاحية إلى إيقاظها في الجزائر، مبنية على أساس الحفاظ على المقومات الشخصية، واعتبار اللغة العربية أداة ووسيلة هامة في العملية الإصلاحية.

ذلك أن الهدف من هذه السياسة صبغ البلاد بالصبغة الفرنسية الخالصة، حتى تنقطع جميع الروابط التي تربط الجزائر بماضيها وحاضرها ومستقبلها وبتقافتها ولغتها القومية وتاريخها الإسلامي

وانتمائها الحضاري إلى الأمة العربية، ونشر الحضارة والثقافة الأوروبية في أوساط الأهالي، حتى تنشأ أجيال جزائرية ممسوخة من كل شيء ومتجردة من هويتها وثقافتها وشخصيتها، وبذلك تكون أداة في يد الإدارة الاستعمارية لتنفيذ مخططاتها ورغباتها، وأكثر قابلية لنتائجها وعواقبها الوخيمة على الشخصية القومية للجزائر.³⁹

3- تاريخ الجزائر:

لقد حرصت النخبة الإصلاحية أيما حرص على مواجهة كل من تسول له نفسه تشويه التاريخ الجزائري، فرفوف المكتبات وشهادات الأحياء وكل من زار الجزائر، وحتى مذكرات الأموات منهم تؤكد على عراقة تاريخ الجزائر، فقد وظفت النخبة الإصلاحية أقلامها وخطبها ومحاضراتها داخل الوطن وخارجه من أجل الوقوف ضد سياسة الإدارة الفرنسية التي كانت ترمي إلى استبدال الولاء الوطني بالولاء لفرنسا، عن طريق تشويه التاريخ الجزائري. ويعد المبارك الميلي من أبرز وجوه النخبة الإصلاحية اهتماما بكتابة تاريخ الجزائر، إذ دافع بعناية عن كل من يعمل على كتابة تاريخ وطنه وأمته، فيرى بأن العناية بالتاريخ تضمن إعادة ربط الشعب بمساره وبعث اعتزازه وفخره بماضيه، ويدع وفي كتاباته إلى ضرورة الاهتمام بالتاريخ الوطني على حساب التاريخ الفرنسي، كما وجه سهام غضبه تجاه النخبة المفرنسة، ولامهم على ابتعادهم عن كتابة تاريخ وطنهم، فيقول عنهما لميلي: "... إن المتعلمين اليوم من أبناء الجزائر قطعوا الصلة بينهم وبين ماضيهم فجهلوا ما فيه من عز وذل، ونعيم وبؤس، ومدنية وهمجية، وسيادة وعبودية"⁴⁰.

ويبرر المؤرخون الفرنسيون سعيهم إلى إبعاد أو تهميش أو إهمال العصور الإسلامية " عملية الفتح الإسلامي في منطقة المغرب العربي"، وإعطاء أهمية لفترة ما قبل التاريخ والعهد الروماني، وكذا مرحلة الإستعمار الفرنسي، ونذكر منهم المؤرخ الفرنسي ستيفان نفزيلالديرى بأن: "التاريخ أيضا يحدد لنا واجباتنا، علينا أن نتسلح بإرادة لا تقهر في أن نكون أسيادا وإلى الأبد"⁴¹.

كما انتقد الميلي البرامج التعليمية المسجدية، نظرا لأنها خالية من مادة التاريخ، وعبر عن ذلك من خلال أن التاريخ يمثل الجنسية الوطنية، لذا لابد على الأبناء من معرفة ودراسة تاريخهم.

فظهر كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث من جزأين الأول سنة 1928، والثاني سنة 1932، وقد حرص فيه الكاتب على ضرورة العناية بالتاريخ الوطني، فيقول عن فكرتي الإصلاح والوطنية⁴²: "... عندما يدرس أبناء أمة تاريخهم سيعرفون واقعهم وسيعرفون أن القومية الموجودة أي

القومية الفرنسية" سوف تبث قوميته، إذ يعد هذا الكتاب قيمة علمية ذات أهمية بالنسبة للتاريخ والوطنية معا، ذلك أنه يقف ضد المخططات التي رسمتها الإدارة الإستعمارية التي تسعى دائما إلى تزييف التاريخ الوطني، كما يؤكد هذا الكتاب على النزعة الوطنية التي أكد عليها الميلي في كتابه هذا من خلال دعوته إلى بعث التاريخ الوطني، والدعوة إلى ضرورة ربط الجزائري بماضيه والإعتراف به، فهذا الكتاب يمكن اعتباره وثيقة لمشروع ثقافي وطني إصلاحي.

كما يتحدث الميلي عن أهمية كتابة التاريخ فيقول: "إن التاريخ مرآة الغابر، ومراقبة الحاضر، فهو دليل وجود الأمم، وديوان عزها ومثبت شعورها وسبيل اتحادها، وسلم رقيها، متى درس أبناء أمة وأحاط أخيرا بأدواره شبابها عرفوا وجودهم"⁴³.

ولقد أعجب العديد من المؤرخين بكتاب الميلي ومنهم عبد الحميد بن باديس، عندما قال: "إذا كان من أحيان نفسا فكأنما أحيا الناس جميعا، فكيف بمن أحيا أمة كاملة؟ أحيا ماضيها وحاضرها"⁴⁴.

أما أبو القاسم سعد الله فيقول عندما لقب بأنه شيخ المؤرخين: "هنا كمن هو أجدر منيب هذا اللقب وهو الشيخ المبارك الميلي .."، كما أعجب شبيب أرسلان بالجزء الأول من كتاب الميلي وقال: "أما تاريخ الجزائر فوالله ما كنت أظن أن في الجزائر من يفري هذا الفري، ولقد أعجبت به كثيرا"⁴⁵. وأيضا عدت الصحافة التونسية هذا الكتاب نهضة حقيقية ونقطة تحول في خطة رجال الإصلاح في الجزائر وقالت عند ذلك: "... نهضت الجزائر نهضة مباركة منذ سنوات قليلة، وشعرت بأن الخطوة الأولى في سبيل النهوض لابد أن تعتمد على الأدب الذي هو قواما لروح وغذاء الفكر، والدافع الأقوى إلى المشي نحو الأمام"⁴⁶.

وفي السياق نفسه سعت النخبة الإصلاحية إلى تنبيهها لجماهير من أجل أن يحافظوا على تاريخهم المجيد وبطولات أجدادهم، إذ أن هذا التركيز يساهم في إيقاظ الحمية الوطنية ويقذف في القلوب شعلة من نور.

خاتمة :

لقد سعى الاستعمار الفرنسي إلى تنفيذ مشاريعه لضرب الشعب الجزائري في مقوماته الشخصية وقيمه الروحية والقومية والوطنية، بتسخير كل الوسائل والأساليب كالتهجيل والتفكير، وذلك سعيا منه لإفراغهم من محتواه الأخلاقي والتربوي وكذا الثقافي، ليسهل عليه تحقيق أهدافه ويحدد مبتغاه المتمثل في فرض لغته وقيمه الثقافية إضافة إلى

التنصير.. الخ، ولقد اهتمت جريدة الأمة بمسألة الإصلاح العلمي والتربوي، حيث أدرك أصحاب الجريدة خطورة هذا الجانب من أجل التخلص من هذه الأوضاع وإحداث نهضة فكرية وثقافية شاملة في المجتمع الجزائري، وان كل محاولة لحمل الجزائريين على ترك جنسهم ولغتهم أو دينهم أو تاريخهم أو أي شيء من مقوماتهم هي محاولة فاشلة مقضي عليها بالخيبة⁴⁰، ولهذا يمكن القوة إلى أن قوة الأمة إنما مرتبطة بمدى محافظة هذه الأمة على تمسكها بهويتها من لغة ودين وتاريخ وعادات وتقاليد.

الهوامش :

- ¹ رابح تركي : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية -1931-1956- الجزائر ، 2004 ، ص 61
- ² صلح بلعيد : في الهوية الوطنية ، دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع ، د ت ، ص 42
- ³ المبارك الميلي : هو الشيخ مبارك بن محمد ابراهيمي الميلي من مواليد قرية الرمان الموجودة بجبال الميلية ، ولد بتاريخ 26 ماي 1898م وهناك من يقول سنة 1896 م من دعاة الاصلاح في الجزائر .
- ⁴ الميلي: رسالة الشرك ومظاهره، دار الراية للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2001 ، الجزائر ، ص 39.
- ⁵ عمار طالبي : آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ج4، ص 112.
- ⁶ سعد الله: الحركة الوطنية، ج3 ، ط4 ، دار الغرب الاسلامي ، 1992 ، ص 87.
- ⁷ الروم، الآية30.
- ⁸ آل عمران، الآية85.
- ⁹ آل عمران، الآية19.
- ¹⁰ المائدة، الآية3.
- ¹¹ الابراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي، ج4، ص 95.
- ¹² جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعارف، الجزائر، 2007، ص 49.
- ¹³ الزاهري :هو محمد السعيد الزاهري بن البشير بن علي بن ناجي. ولد في: (1317هـ/1899م) ببلدة (ليانة) بالزاب الشرقي، ولاية بسكرتو هو اديب وصحفي عرف بأفكاره الاصلاحية
- ¹⁴ الزاهري(سعيد): الاسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، المقدمة، دار الكتب، الجزائر، د.ت. ص118.
- ¹⁵ الميلي: رسالة الشرك ومظاهره، ص ص34-39.
- ¹⁶ الميلي: نفسه ، ص 136.
- ¹⁷ محمد بن عبد الوهاب : وُلد سنة (1703م) في “العيينة” من بلاد “نجد”، ونشأ بها، وحفظ القرآن، وتلقى العلم عن أبيه الذي تولى القضاء في بلدان العارض من أقاليم نجد، منذ سنة (= 1726م) وحتى وفاته سنة (= 1740م).
- ¹⁸ المنار :اسسها رشيد رضا و طبعها في مطبعة التوفيق القبطية، فصدر أول أعدادها في تاريخ 22 من شوال عام 1315 هـ، الموافق 15 مارس من عام 1898 م.
- ¹⁹ اللواء :اسسها المصري مصطفى كامل سنة 1900 ، تميزت بأفكارها التعليمية و التربوية و الاصلاحية عامة .
- ²⁰ جريد الاصلاح : اسس العقبي جريدة الاصلاح في 8 سبتمبر 1927م، وقد صدر من هذه الأخيرة 14 عددا ثم أوقفتها السلطة الفرنسية وذلك في سنة 1928م تم طبعها في تونس، ولذلك عزم على تأسيس مطبعة، وفعلاً تم تأسيس «المطبعة العلمية».
- ²¹ العقبي : فكرة حرة، صدى الصحراء، ع3، بتاريخ 7ديسمبر 1925.
- ²² العقبي: الدين والاجتماع، المنتقد، ع6، 06بتاريخ أوت 1925.

- ²³ المجاوي نوهو عبد القادر المجاوي ولد سنة سنة 1848 في تلمسان ،استاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس ،درس بتطوان ، تولى القضاء في تلمسان ، ن ابرز كتاباته ارشاد المتعلمين
- 24 للمزيد حول مقالات الشيخ عبد القادر المجاوي أنظر: جريدة كوكب افريقيا، العدد 39، 1908، "الحسد"، العدد 19، "العادة" 1909، جريدة المغرب، العدد5، "فضل العدل والإنصاف"، 1909.
- ²⁵ طالب (عمار): الآثار، ج3، ط2، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1983 ، ص 243
- ²⁶ نفسه ، ص 364.
- ²⁷ عبد العزيز الدوري: التكوين التاريخي للأمة العربية، دراسة في الهوية والوعي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1984، ص 19.
- ²⁸ الجندي أنور: العالم الاسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي ، ط 1، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، 1979، ص 237.
- ²⁹ الابراهيم: اللغة العربية في الجزائر عقيدة حرة ليس لها ضرة ، البصائر، ع 44، 28 جوان 1948، الافتتاحية
- ³⁰ ابن باديس : البصائر، السنة الرابعة، ع 171، يونيو 1939.
- ³¹ الابراهيم: عيون البصائر، ج 2 ، ص 43.
- ³² الابراهيم: الجمعية دعوتها وغايتها، الشهاب، م09، ج9، أوت 1933، ص 355.
- ³³ الزاهري: الاسلام في حاجة إلى دعاية وتثوير، ص 46.
- ³⁴ أبو البقطان: عريضة أبي البقطان إلى لجنة البحث البرلمانية، الأمة، ع12، 11 ماي 1937.
- ³⁵ بن باديس : الآثار ، ج 3 ، ص 77
- ³⁶ الإبراهيمي: اللغة العربية في الجزائر عقيدة حرة ليس لها ضرة، البصائر، ع 44، المقال السابق .
- 37 دار الحديث :تم في يوم 27/سبتمبر/1937م افتتاح دار الحديث بتلمسان بحضور حوالي3000 شخص منهم 700 ضيف، و البقية من أهالي تلمسان .بحضور ثلة من أهل العلم و من دعاة الإصلاح الإسلامي كالشيخ بن باديس والشيخ العربي التبسي و الشيخ مبارك الملي و غيرهم.
- 38 الجامع الاخضر: من أهم مساجد مدينة قسنطينة الجزائرية .بناه الباي حسن بن حسين ،بُني المسجد في عام 1743 م
- ³⁹ تركي رابع : التعليم القومي والشخصية الجزائرية ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1989، ص 107
- 40 ابن باديس ، الآثار ، ج 5 ، ص 328
- 41الميلي(مبارك بن محمد): تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج3، تح: محمد الملي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، بالاشتراك مع دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986، ص ص32-33.
- 42 الملي: تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج 1 ، ص 29.
- 43 سعد الله: الحركة الوطنية ، ج2، ص 426.
- 44 الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 1، ص33.
- 45الميلي:نفسه ص 10.
- 46محمد الصالح الجابري: المؤرخ الجزائري مبارك الملي في الصحافة التونسية، مجلة الثقافة، ع102، ص 21.